جدَّتي السُكَّر

جدتي السكر تأليف أسماء الفهيد ليزرأول مرة ٢٠١١/١٢/٢٧

جدَّتي السُكَّر

نصوص

أسماء الفهيد





الطبعة الثانية

1433 هـ - 2012 م

ردمك 2-669-84409-2-978



للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

تلفون: 00966505774560

الموقع الإلكتروني: www.darathar.net

Email: info@darathar.net

المحتويات

فلامنغو... لا يبرح مواطنَ الشمسْ

وكانَ يقولُ: لو أنَّ الحُب حبلٌ

وكُنتُ أقول: لو كانَ طائراً

ويقول: ونُعقَد به

وأقول: ويُحلِّق بنا

وكانَ يقول، وكُنتُ أُشير

وكانَ يعْقِدُ وكُنتُ أُحلِّق.. واكتشفتُ أنَّ الحب أنواعٌ

وليست كلها، حسناً ليست كلُّها.. كأنَّا والغيمْ

وقُلت: إني رغبتُ عنه وألفتُ ذلك جدًّا!

مرَّت سنواتٌ عديدة يا قلبُ ونحن ننفضُ عنَّا عناءَ الأفكار.. تذكُر؟!

تَرَك ذلك ندوباً على روحي

مجدداً.. أنا فزعتُ لكني لستُ خائفة

مممم، كَطائر فلامنغو...ذلك الزهريُّ الذي لا يبرح مواطنَ الشمس

الفـرق بيننـا أنـهُ يطيـرُ جماعـاتٍ، وأنا وحدي، لا أدري.. أكره حديثي

هذا يأتي مُنساباً وأنا أمضي

أكتب، أقرأ، أُرتِّب أوراقي، أتحدث مع صديقتي..

يأتي يأتي بعناد.. أنفض رأسي... ابتعد ويتمسك بي أكثر..

أهمِس لصديقتي:

حينَ ظننتُ بعد أن نفضتُ أفكاري أنهُ تعلَّق بأطراف شعري.. قصصتُه

وتنْفلِت عباراتي كَهبَّات ريح

لا أدري... كأني أغضبتُه حين حاولتُ إسقاطه بمقصِّ الخياطة الخاصِّ

بأمي

فظهر لي هذه المرة، وكدتُ أُصعَق

كان بِرداءٍ من لونٍ أخضر، وجهه ألطف ممَّا في قلبي من حنينٍ

في عينيه أسئلة لا أُريد سماعها أبداً

تقاطعتُ وأفكاره التي لم أسمع منها شيء بسؤاله:

هل تختار اللون الأخضر الداكن كَدِثار، حين يُلامس الزمن ظهرك بـ

برودة خيبة؟

وما انتظرتُ إجابة؛

أنا الزمن أوجعني فنهرتُه، لا تلمس ظهري حين أكون ساهمة..

يُفزِعْ ذلك.

آنذاك ابتسَم.. واستنكرتُ ابتسامته،

لكنِّي استعذبتُها.. جدًّا.

جدَّتي السُكَّر

أنا أمٌّ وطالبةٌ وفتاةٌ كبيرة، أذكى من أُمِّي، وأعرف كيف يُصنَع الفطيرُ، ذلك الذي يُذَرُّ

عليه السكرُ بوفرة كإضافة أخيرة ناعمة، ولكني لا أعرف كيف تُطابَق طبقاته.. أعترف بإخفاقاتي حتى..

لكني أيضاً أعرف كيف أُحرِّك حبَّاتِ القهوةِ على نارٍ من هدوء، لتُثملَ رائحتُها أحبةَ جدتي المُفضَّلين

وبلا نون نسوة أبداً،

جدَّتي... تُلقَّب بالسكر لجمالٍ ربانيٍّ طُعِّمَت به ملامحُها

لا يبرح الحناءُ شعرَها ويديها أبداً إلا فترة حدادِها على جدِّي

كما تُقدِّس أحداث ذلك أُمي ولا نذكُر نحن شيئاً منه أبداً.

دائماً تذكُر قصة (كَرَم)، حين ظنَّ الجميع حين وُلِدت أنها صبيٌّ

وماتت فرحتهم حينَ اكتشفوا لاحقاً أنها أُنثى!

وتستطرِد: جاءت في ليلة غاب فيها القمر..، وتنظُر إلى الباب بتململ...

جدَّتي السُكَّر تعتبر النساءَ من أسوأ عناصر الحياة

بينما تَعتبر الرجلَ القيمةَ الأهمَّ في الحياة والجدوى الأكثر إجداءً

تُسمعه شكواها حتى الاكتفاء ثم تبتسم باستبشار.. هاتِ أخبارك،

برأيها النساء كلُّهنَّ شريراتٌ قاسياتٌ، ولا يحتملن إبقاء الأمانة على وضعها.. أيًّا كانت،

ويفتقرن جدًّا إلى تبادُل الثقة وضعيفات حدَّ اللاَّحدِّ

خالايَ الاثنان، وأخوتها الستة، وأضِف إلى المجموع الأخير أبناءَهم

يشكِّلون لديها العالم كلَّه.. عدا ذلك، أشياء مُكمِّلة للحياة ولا بدَّ منها.

بالنسبة لرؤية جدتي.. أنا مؤخراً رأيتُ أنَّ ترْكَ الأشياء كما هي أفضل من تحريكها

في الإقناع أعني، أنا شيءٌ، هي كذلك شيءٌ.. لكن لا بدَّ من تحريك بعض القِطع، على طاولة

الحياة – شطرنج – مثلاً!

مممم.. لا أدري، أيُّ قطعة يجب تحريكها الآن؟!

أُحاول فهمها ولا تحاول فهمي.. يوماً ما سأنتقم.. على الأقل حين أجد ذلك في قرارة نفسي

نعَمْ.. أستقر وتَقرُّ عيني بنتائج التحدي.

حسناً.. تجاوزتُ مرحلة التفكير بِمادة اسمها: [الغلبة لمن؟]

لأني رأيتهم جميعاً بأحلام مُرقَّعة.. والواقع وحدُه الرداء المُكتمِل.

لا أُريد أن أُحدِّث أمي عن أحلامي.. لا تعجبها أبداً لأنها لا تحوي شيئاً من هواياتها.

ولأنها نُسخةٌ مكررةٌ من السُكَّر.. جدَّتي، جدَّتي، يُحزِن ذلك لكنه يبعث على التحدي أيضاً.

التحدي.. الذي يجعل أُمي تلتفت مُتابِعةً باهتمام.

مـرة واحـدة فقـط قالـت إني أجعل من الأشـياء ذات قيمة... سـررتُ بذلك دهراً،

لكنها انتزعت سروري مني بِسيل تذمُّر لاحِقٍ وهائلٍ...

والسببُ رجل!

سيئٌ ذلك، وسخيفٌ أكثر من اللازم.

لستُ أيضاً مهتمة وسأنتقم..

من الوقت، أفكار أُمي.

ورأس جدَّتي الأحمر،

ورجال العالم..

وحينَ يرفعني مجدداً عن الأرض.. تذمُّرها الصارِخ.

سـأجعلها تُدرك كم كانت كرَّاتها اللذيذة خاسـرةً ومُنتشـرة في الفضاء كَرماد:

حسـناً يا جَدَّة.. حينَ تُحييكِ كلمة رجل وتقتلك أيضاً كلمة رجل..

أكونُ أنا آنذاك

أُحيي وأُميت.. بهيمنة امرأة.

وما أسهل ذلك.. حينَ يكون النِدُّ رجلاً.. لا أنتِ.

صَقيعْ

تُشبه ابتسامةً... أو أُمنيةً تُحفِّز بِنَظرة

أنت لا تعلم متى أكتب لَك، ولا تَدري متى تتساقط نُتَفُ الحروف

كَكُـراتٍ مـن ثلـج.. تتكـوَّم تتكـوَّم.. وتنعي إلـى بعضها البعض

شروقَ الشمس

ولو حاولتَ صُنع رجلٍ من ثلج لتجمدت يداك قبل أن تبلُغ شالَه..

ذلكَ الصوفيَّ الذي وعدتكَ بِأجمل منه إن أنت أتقنتَ عملك

أنت كَبرد الشتاء حينَ يُجافيه المطر..

جافًّا، قاسياً ويُحفِّز على البُكاء في كُل هَبَّة..

ألمح برودَك فوقَ أنوف الصغار وأتلمَّس أنفي باحثةً عنك!

أفرُكه جدًّا.. ليُصبِح دافئاً كأنفاس وَليدْ، وما إنْ أُعيد يدي إلى جيب

معطفي إلاَّ وأُلفي على طرفِ القميص البرد

ضاحكاً مُتسائلاً:

أحنينٌ إلى دِفء الشمس؟!

ولا أُجيـب، بَـل استمر فـي طريقـي.. وأنـا أُفكِّر بِك والشـمس وأنفي

وجيب معطفي الدافئ والذي فكرت مرة في...

سحبك إليه، لكن أنَّى ذلك وأنا لن أستطيع التواجد داخله!

ضحكتُ لِتفكيري؛ فانتشى البردُ.. وانعطفتُ يميناً صوبَك رُبما

لا لا.. أنتَ خلفي... جهةَ البردْ.

مممم.. هل مررتَ مرة بِتجربة صقيع يحوِّط أهدابك.. زامَلَني ذلك

هذا الأسبوع فَنِمتُ البارحة وأنا أُفكِّر

وأبرُم أهدابي واحداً واحداً ليتساقط الصقيع كَدقيق.. أبيض أبيـض

يبعثُ ذلك على الضحك.. أحايين

الضحك؟!

حقيقة.. أحبُّني كثيراً هذه الأيــام، أفعل ما أُريد، أصمُت بطريقة مُرعبة،

أقضي وقتي بالقراءة العامة..

وأخرُج بلا شيء!

أُخبرُك سِرًّا؟!

لا شيء أخرُج به. هههههه أَمَرِض قلمي فقط لفَرط ما رسمتُ على

حافة الصفحات

دوائر، دوائر، دوائر...

لِيُصاب البائس بِدوار، وينفكَّ من شعوره حين أرسم نجمة!

ممم.. حسناً.. ويحلو لي أن..... أعني هذه الأيام الحلوة.. يحلو لي أن

أتمشَّى داخلَ قلبي وأزورُ الأشياء المُستقرة فيه والتي تُبادلني الحُب

أنظـر للجميـع بعينـه... لأني اكتشـفت أن الإنسـان بشـكلٍ عـامٍّ (كائِنٌ

لَطيفٌ) ويستحق التحفيز ليحيــا

لا تقف هنا أنت، تحرَّك، تحرِّك العالم من حولك يُفكِّر، وأنت تقف أمام قناعاتي!

لا تربطني بقولٍ ما، فكرةٍ مـا، لستُ مسئولة عن شيء أنا، إلاَّ لحظتي فقط.

حتـى الغـد يبـدو لـي كَطـرف عُلبة بسـكويت تُطلُّ مـن رفٍّ علويٍّ في المطبخ..

أقول سأسحبها ويُنسيني ذلك صوتُ رنينِ الهاتف

وأجدني أيضاً.. أحبُّ البنود الواضحة..

خَجِلة جدًّا.

هائمة بدرجة أقل..

وقلبي يقفز يقفز..

وأخوضُ الذكرى ببسطارٍ من وُدٍّ

قليلاً قليلاً قليلاً...

أعلى من أن يتسرب إليَّ الماء

وأقلُّ من أن يبلغ ركبتيَّ

ولم أكن آنذاك مُهتمة...!

مممممم وكأنَّ طرف العلبة المستقرَّة أعلى الرف... تبدَّى لي قُصاصة صحيفة يومية تتحدث عن نتيجة مُباراة بين فريقين لا أميل لأحدٍ منهما.

وياااااه، ما أتفهَ ذلك.

لأقضــم رأسَ قلمــي حتــى يتــوازن عرضاً وطولاً ويكفَّ عن الشـكوى من الدوار.

لديَّ سِرٌّ آخر

حينَ يختلف 1 عن 2 فَالتحليل سهل جدًّا.. هُناك قِصة!

بعيداً عن التعقل

اصمُتْ!

لـم آتِ لِسـماعك، أصـغِ لـي فقـط، وانظُر إلـيَّ.. حدَقتُك، حدَقتُك لا أُريدها أن تتحرك

ولا أوَدُّ منها أن تُركِّز النظر فيَّ.. استوعبني كأعظم ما يكون الاستيعاب،

حتى وإن ارتفع صوتي وزادت جُرعات جنوني

أستطيع أن أكون عاقلةً حتى الدرجة التي تتوقف معها أنفاسي

لكن الجنون يروق لي أكثر، وفي كُلِّ مرة أنفر أكثر، أكثـر

أكره ادعاءَه ممن يعلِّمونه.. يُتقنونه، يُلوِّح لهم من بعيد تلويحَ صاحبٍ مُشغَلْ

يُشيح متى ما حانَ من الحديث حديث

أقفُ أنا هكذا هكذا.. أمام العالم مجنونةً تمشـي على حبل التحديق ببراعة

ولا يفرط منها شيء حتى في أكثر مراحل الحبل دِقة

أسمع.. أنا لا أضمن لك حالاتِ جنوني القصوى،

لا أدري... لكني أحياناً أخرج من شعوري1 بما أفعل، وأنسى

أنا أعود للنقاط الأولى إيماناً بها وذلك بعد أن أضربَ رأسي بالحائِط!

أجل.. لا يؤلِم ذلك، بل هو بنظري صحيٌّ جدًّا، تصل عيني أثناء ذلك

إلى أقصى درجاتها اتساعاً.. فألحظ عدستك جدًّا، سيئ ذلك

مُنفِّر.. مُزعِج.. دَبِقٌ شعوره مثلاً؟

تُريد الخلوص؟

حسناً سأُطلق سراحَك.. لكن ثِق أنك سَتنتثِر منِّي وستتمنى لوعُدتُ

لجمعكْ..

لكني لن أفعل.. بل سأضرِب برأسي الحائطَ أو سأضرِب الحائِطَ

برأسي،

لا فرق.. كِلاهما لا يؤلِم

وأعيذُ الحائِط بِربِّي من أن يؤلمه رأسي!

سأفعل، حتى... حتى تنظر عيني في أمر البحث عنك وتنسى أمرَ

الاتساع

والبحث والوقوف المجنون.... والحبـــل

بل الرحيل كَفراشات أمضَت عمرها الأول في شرنقة

وابتدأ الثاني وهي بعدُ ما نبتت لها أجنحة..!

بِرِقَّة الحيلة الحزينة الهادئة المغلوبة

تُدحرِجنا الدُنيا إمضاءً.. ونمضي

وتطبع على وجه لحظاتنا قُبلَةُ الأحوال أحداثاً

أمَّا أنا.. فأرسم بسبَّابتي جناحين لآهٍ من بنفسَج، تغمق في كلِّ مرة

تصعد إلى أعلى السماوات

كانت حينَ انتشار تترصد صدوراً ما شَقَت، وما وجدتها ولا عادت،

ياه، يالها من لِحاظ تُظلِّلها عذوبة الأيام الداكنة!

ورقَّةُ الحيلة الحزينة المغلوبة، تُستنفِر بحثاً عن ابتسامة تُراقصها

وما مِن ابتسامة سوى ثلاث أو أربع صفراوات هائمات تُسائلهن

ويتناظرن جذباً لحديث.. ههههه لا ندري!

وفي التفكير الأول محاولة، بينما الثاني استيعاب، والثالث تجربة،

ثم يقين إمَّا بِنصرٍ أو.. وَجلِ هزيمة، ولا شيء يقينيٌّ الحدوث

إذ لا نتائج مُعلَنَة

مممممم.. كَـ(أعلم) بأنَّك الأوفى إطلاقاً، وأنت الخائن الأوحَد!

تناقُض يسلِب الفِكرَ المنطقية، لا الأولى بل الثانية ولن يُغادرها إلى

الثالثة.. إذ رُبَّما مِقصُّ الحدِّ لها راصِد.. ليسَ رقيباً بلْ حاسِداً

كالمحسوسات،

تُنهـي الاحتفـالات البيضـاء بطريقـة اكتفينـا، أو إزعاج للآمنين، أو هل يُسمَّى ذلك فرحاً؟

أنا أقِف مشدوهة أمام الدُنيا وضاحكة، شاعرة بالغرابة جدًّا

لا تَفي بوعودها، وقد تَفي بطريقة تُماثِل مثول اللحظة

تلك بنت الزمن الصعب إن سَبَقَ وقابلتها

وأرسم خطَّ التفاؤل حينَ أتوقف عند حديث أخت صديقتي

حين كانت تقول: ما بالُ اللطائف الطوافاتِ في الليل تندَى بعذوبة

وأُطالِع ساعتي استحثاثاً، أو يغلب عينيَّ النعاس ليُسْلِمَهُ إلى قلبي.

يا رب.. لا تجعل أحداً يسمَع نِـدائي

بالملعقة

أُحرِّك مكعبات السكَّر

أحاول أن أقول شيئاً

الهدوء قاتلٌ

وبعض الوجود أكثر

مكعبات السكَّر تتراكم بِجمال.. في العلبة

حتى الآن كلُّ شيء من بلور

حتى دمعاتي!

ولأنه ما زال الصمت لم يبرح؛

أبتْ إلا الهطول..

لو كفكفتُها فستعلم بأمرها.

ولو تركتُها فستراها

طالما أنت حولي.

كلُّ شيء يبعثُ على الحيرة!

وأتوه..

أ

ت

و

ه..

في مدارات النور

هو دَرَنُ الخيْباتِ من يكتم أنفاسي

يرتفع كَرمادٍ أعمَلَتْ في تهييجه الريحُ

فَسَلَكَ أولَ عينٍ قابَلَته مُصافحةً..

هو..ذاته من كَتَمَ أنفاسي حتى من شَهَقاتِ بُكاء

هو من آثرتُ عِناقه.. على أن أعودَ القهقرى

فأخلَصَ لي مُعانقةً... حتى طَفِقتُ أضرِبُ صدري

لِيُغادِر.. يترُكني.. يُطلِقُ يديَّ.

هو ذاته من أبكاني مرَّة بِدمعاتٍ من زُجاج فخالَطَتْ كربونه المؤكسَد فاستحالَ لِبلُّوراتٍ أعمَلَ فيهـا الرمادُ والألم حتى أصبحَت شافَّةَ الألوان بصفاء.. صفـاء.. صفـــــاء أحالت ملامحك فيه – رسوماتٍ من دِقة – حينَ انعكسَت على خَدَّيَّ

وهو ذاته من أحالَ أحرُفي لمشارِط من ذَهَب

لا يَعقِب إعمالَهـا مُصلِح، حيثُ لا تُغلَبْ، ولا تتعَبْ.

وهو ذاته من عَتَّ الطاقة حتى انتكسَتْ كَبقايا

جيشٍ جرَّارٍ عادَ خاسِراً من حربه، ورأى في

عيون الأحبة خيبااااتٍ لن يُنسى بريقُها أبداً.

يا ذاااااتَه..

ما لِقلبي.. مالَ قلبي!

مـــارَ.. حتى شكى الموج ارتفاعه عندَ أولِّ شلالٍ

يُختبَرُ فيهِ عُلُّوه.. ثُمَّ.. غاااااار!

ثُمَّ منه الموجُ غار

وأنَّه..

سَطَا

حَنينٌ

جَموحٌ

وَسْطَ

قلبي

وجار...

وما استطعتُ حلولاً!

ولا حلولَ، غيرَ واديهِ المُقدَّس

وألجمَ كبريائي آنذاكَ الخطواتِ

ووقفتُ على الباب..

بعتبِ وأدَب

حتى يؤذَن لي

وما انتظرتُ، حتى استدرتُ

وقفلتُ رجوعاً... من غيرِ نيَّة إنابة.

وحـــالَ نِداء تمنيتُه

من أقصى أقسى أعماق قلبي

وقفت مُتَسمِّرَةً.. مُغمِضَةً عينيَ أقول:

كُن خيالاً أرجوك..

يا ربِ.. فقط الآن لا أُريدُ أن أسمع

أو لِيَكُن حُلماً تهيَّأ لي وليسَ بواقع

لكن...

أُلحِقَ الأولُ بثانٍ..

واستحالَ الصوتُ في قلبي معانياً

وانقطَعْتْ، أو غابَ الصوت!

وغالبَ الكبرياءُ الوُدَّ حتى غَلَبَ

ومضيتُ..

وأنا ثالث ثلاثة:

أنا وخيبةٌ وألمٌ يرقُص على جِراح الوُدِّ
بلْ.. كانَ رابعنا الوُدَّ
بِكبرياءٍ كانَ مطعوناً يترنَّحْ!

أما انسلخَ الحُزنُ مَرَّة...!

وتذكرتُ مقولاتِ طوقَ الياسمين

حين تصاحبنا مرَّة على طريق

[قُل لي ما نوعُك، أُخبِرك من أنتْ]

وكُنَّا نجمعُ الأوراقَ طولَ المسافات

ليسَ حُبًّا فيها، بل، لِنتسلى وَ...

لِنعرف من خلالها طريقَ العودة

وَرَقة

وَرَقة..

وَرَقة...

تتهادى ونبتعد قبلَ أن تصل إلى الأرض..

ولا أدري أصدَقتْنا الوعد!

أو هبَّت الريح في أول مُفترَق وأخذتها معها..

تسامرْنا... وشَرَعَت كلُّ واحدةٍ منَّا تتحدث عنها فيها داخلها

وما يحدث هُناك...

لم أتذكر ما قُلتُ لكن أستطيع وصفَ شعوري

يومَ أن ندبَ ساقُ الغُصنِ الرطيب

عاثِرَ الحظ والصُدَفَ وكيدَ الحنين،

حينَما طاعتْ لهُ ليِّناتُ الليالي المُهمِلَة

وقسوة الفرحة في آخر حِرفةٍ مُلهِمَة..

والثقة حينَ تجلَّت كَغباءات الصغار ومن يصغُرهم عقلاً

في تصديق غِيَر الصديق..

وما قَبَضَ من المُسمَّى سوى

لَفْظَتِه ولفظ من باقيه..

لانتفاء تطبيقه وسقوطه من مآقِيه!

أتوقف.. لا لشيء

لكن هبَّت نسمةٌ فَقلقتْ

ثُمَّ... تساءَلتُ بطريقة المُجحفين اهتماماً

أمَا انسلخَ الحزنُ مرة، وطارَ فجأة كَفراشة؟!

أمَا انسلخ دونَ ألم؟

وبدأتُ أتلو ما أشعُر

كَحافِظٍ غير مُتقِن

يُريدُ الخلوص فقط،

يا رب،

في الانتزاع ألمْ..

أُريدُه بطيئاً جدًّا..

حتى أستطيع أن أكذبَ وأقول:

لم أنتَبِه، ولا يؤلِم..!

يا رب..

الغُصص تَهِمُّ بأن تَهيمَ بِهِم كَهَمٍّ مُدلَهِمٍّ....

وهي أعمقُ وأضيَقُ بكثير من تواجدهِم

تَهمِس لهُمْ: مِن هُنا،

أيُّ إشارة..، وتَحتَمِل ألف طريق..

وتَغيضْ.. بِشعورِ غَيضٍ لا يَفيض

وقد عَهِدَ الكظم تَطبُّعاً وصديقاً

يا رب...

لستُ إلاَّ وردة بيضاء فأَعِن ساقياً حتى تَسمُق، تسمُق

فما لم أعتدْه لا أستطيعُه وقلبي يضع يدهُ تحت ذقني حتى ألتَفِت،

أرفَع رأسي..

وأنا أُريد ولا أوَدُّ.. ولا أوَدُّ ولا أُريد..

أنا.. أنتَ تعلم.

وأنا أعرفني وأعلمْ.

وأعلم أين أنا لكني أقيسُ مسافاتي بقسوة،

وما أُريد، وأدرك أن اللحظات الأخيرة تُسعفني بدلائل للطريق

ورحمتك التي وَسِعَتْ كُلَّ شيء....

إمَّا كل شيء أو لا شيء..

لذلك.. أريحُ رأسي زعماً وما ارتاحت روحي حقيقةً.

ثُمَّ يأتي دور طوق الياسمين لتتحدَّث

وأنا في داخلي ألفُ صوتٍ يقول...

ما يُشبِه الكلام!

أحلامٌ تَسيرِ عَكْسَ اتجاه الساعة..!

كانَ حُلمي. وتبدَّلْ

أنَّ تتحدث ويسمعك الكون.. فهذا ضربٌ من مُستحيل

وإيمانٌ بتميمة مُبتلَّة في جلب المطر..!

تقلَّصَ حُلمي اليوم.

.. ودِدتُ فقط لو أشرقت الشمس وأنا في أرضٍ قَفْر تُدعى – كالاهاري – مثلاً

في مناطق غير مأهولة، وتُربةٍ إلى البياض تَميل.. بل الصُفرة، وشاطئ قريب

وثُعبـان البامبا السـوداء، يظهر بينَ فينةٍ وأُخرى.. لِيُغريني أكثر بِحُب الحياة

أو..

أن يتجلَّى القمر وأنا فوقَ سفح جَبل، وَحيدة، بَعيدة، ولستُ حزينةً أبداً بل سعيدة.

يتجلَّى... مُكتملاً وأنا أُخبئُ عنه أحلاماً سيعكسها في صفحة الماء

هُنـاااااك.. حيثُ غادرْتَ

ولا أُريد، ولا أشاء.. ولا أوَدُّ

لِذلك أُخبئ عنه أشيائي..

وسأفعل كُلَّما اكتمل.

أو أن.. أُبحِر بقاربٍ مَخروق ولا أُدرِك ذلك إلا بعد أن توسطتُ البحرَ

لا بأس.. لا تخافي يا صغيرتي، فقوانينُ الماء لا تسري عليك.

كيف وأنا مُدبِرَة يا بحرُ، تاركةً خَلفي ومُخفيَةً بيني وبيني أحلاماً حزينة، وعهداً بألاَّ أعود!

أو أن أُسافر بمنطاد وشَرْطي الوحيد: أَلاَّ نعود، ومع كُلِّ نسْمة بَحر تهبُّ منه لي هبَّاتُ عُذرْ..!

كيف.. كيفَ كيف وأنا لا أُريد

ولا ألوم..

وروحُ الحياة سبقتني ففقدتُها

وتاهت من بين أشيائي الخريطة..

* قُصاصة تصلُح لأن تكونَ أُمنيـَة:

لا تبتئسي؛ فكُلنا بخير.

تقولُ ذلك يدٌ صغيرة جائعة تمتدُّ بالظلام، تُطمئِنُ يداً أُخرى كبيرة يعيثُ بها الظلام أيضاً...

وتُخبِرنا الدُنيا أن السعادة تَكمُن في لحظة الظفر بِـضرورات الحياة

لمن يفتقدها...

فقط

فقط

فقط.

نيوتن.. هل لنا أن نُعيدَ النظر!

للَّطافة حيثُ تقبَع هُناك وتستمطر الحضور مع كُلِّ عَبَثٍ بالحبر،

ولجبل الثلج حينَ نسي ساعة شروق الشمس، ولِشارلي شابلن حينَ
مات ولم نسمع صوته،

وللأُذن التي تسـمع ولا تتحدث.. تلك تلك التي أعتب عليها كثيراً،
ولِلقمر حينَ توالى أُفُوله فاستمرأنا الظُلمة،

وللقملة الصغيرة في رأس فريدة والتي كُلما مرَّت ينحني الجميع... ولا
أدري هل هو ترحيبٌ بفريدة أم هروبٌ من قفزاتٍ مظلِّية مُفاجئة!

وبعد،

الأقوى أضعَف والأضعف أقوى.

المُضحِك صادِقٌ، وماثلٌ بـقوة.. ليسَ بالضرورة الآن لكن بعدَ حين.

المُبكي... عابِر مع صدقه يعلوه غَبَش.. وما يلبث كُله أن يُنتزع فتتطاير
أشلاؤه بدون أن تُحدِث أثراً..

الأضعف، الأقوى، المُضحِك... بشهاداتٍ كثيرة مُجتمعة، كلُّها لا تعني
شيئاً أمام النتائج الأخيرة..

وضُمُّوا إليكم ذهولَكم.. واصمتوا.

الزائدُ فائِضٌ.

جدتي السكر تأليف أسماء الفهيد ليزر أول مرة ٢٠١١/١٢/٢٧

الناقِص مُكتملٌ، أجل.. حتى لو لم يقتنع أحد، العبرة بالشعور الأخير أو بما يصفَى عليه... الناتج.

المُذهِلُ مُخجِلٌ.. حينَ تسطع عليه الشمس.

والمُتسربل بأيِّ رداءٍ كان.. سيكون وبالاً، ما لم تنفضه النية بمنفضة التجديد الدورية.

الصامت مِهذارٌ لكن خلفَ جِدار.. لا يجرؤ على خوضِ حديث بحضور من سيقول له بالهون

المُتحدث، يُطيل النظر في الوجوه لِيُحدِّد الجُملةَ التاليةَ..!

الفاعِل يغلي من الداخل.. والخارجُ يشتكي البرودة وجمود بعض الأعيُن!

الآمر يشرع بالتأنيب دونَ فهمٍ للواقع.. كمن يقشعر بدنه من أكل الفقراء للنمل وبينه وبينهم مائدةٌ عامرة

وتلفاز.. يحجزهُ عنهم ويحجبهم عنه!

الواقع مُخادِعٌ.. والأقدار مكتوبةٌ لِذلك تتشكل اتجاهات ما بعد الصدمة.

الغيبُ مستورٌ وينجو من اتَّخذ من الماضي دستوراً.

ابتسامتك لا تعني رِضاك، وضحكاتي لا تعني سعادتي.

نوايانا ليست مِكنسةً للأحداث بل ريحٌ تأتي بها.

قلوبنا ليست طائراً يتبع سِرباً يرحل قُبيلَ الشتاء.. لكن شجرةٌ من

المُعمِّرات تتواجد في كلِّ الفصول.

أمانينا ليسـت بوظة يُغيِّر تشـكيلَها الجوُّ.. لكنها طموح يُعمِل فيه كلُّ تأثيرٍ تجميداً.

الحياة ليست كما تبدو....

هو كلُّ ما في الأمر، وكلُّ الصِفات أعلاه

قـد تأتـي مجانـاً.. مـع أغلب المرايـا. والحَظْ (أغلب) و(قد) ولا تَقُل أجحَفَت قَيدْ.

* * *

بقلمي الرصاص وممحاتي، أمَّا المسطرة فتراجعتْ... خافتْ من مقصِّ الرقيب

قُلت يقصُّ ولا يكسِر... قالت: هذا بلى أبوك يا عقاب.

قلت: من عقاب؟ قالت: مثل يُقال -وأنتِ كلُّ شيء تدققين فيه؟!

قلت: تعاليْ معنا ولا يكثر يا أم عقاب...

ومُنذُ ذلك الحين والمسطرة تُسمى أمَّ عقاب في كلِّ كُتب التاريخ.

صديقي وإن عزَّت بالصُحبة الأيامُ

لا تكن مشجباً.. فأشياءُ الحياة كثيرة

وقد تنوء بها، لِتُلام على تكرُّمك يومَ أن ظننتَ شُكرك.

ولا لساناً؛ فللقلبِ مَنطقٌ لا ينويه إلاَّ مرة

وإن فَعل فستكون أثناءها مُشغَلاً بحديثٍ

لا يعنيك وسيحنق عليك.. وستندم!

ولا وَردةً بيضاءَ على شُرفة الحياة المُشرَعة تعبق بالعبير

فاعتيادك كَفيلٌ بزوبعةٍ من حديث تهوي بك حيث القاع

ولا مرآة..

أبداً لا تكن مرآة،

فلن تُعجب القوم صورهم على حقيقتها.. ولن يجدوا سواك تخطِئةً

وإن سألتني: ماذا أكونُ؟!

فسأُجيبك:

كُن أنت، وافعل ما ترى،

وأنظُر للورى

فرُبَّ سامعٍ أوْعى

ورُبَّ نيَّة أودَت بصاحبها

وأردَتهْ.

أو رفعتْه وأعفتْه.

صديقي..

لا أكذبك الحديثَ، لكني ألمحُ

مع الفجر غِيَراً ونفاذَ صَبرْ

حديثٌ مُرّ.

وأحداثٌ كُثْر..

وأُمنياتٌ ما إن تتجلَّى

حتى تُجابَه

فتستطيلُ بانحناء

تتبُعاً للنور

تتبُعاً للنور

لِتُرغِمَ السؤال

أن أحضِر الإجابة

لتوقِد العقول

تُجاوِزُ المعقول

وتنجلي السحابة

صديقي،

قد نكونُ على وِفاق

أو نصيرُ إلى اختناق

أو نعودُ بلا مَصير

أو نصيرُ ولا نَصير

صديقي،

شعور

احتوى القلبَ دهوراً

واحتواه

أو

جفاه

فانتشَر

أو تبعثر..!

ما استقر

انحنت كلُّ الحروف

ونستْ أصل النصيحة

أن لا تكن..

لا تكن..

مشجباً يحْمِل قضايا

وردةً تعبِق حكايا

أو لساناً يستغيث..

يستغيثُ ولا يُغاثُ

أعتذر

لستُ إلا ناصحةً ما عوت درسَ الجروحِ

خانها القلبُ الجموحُ

فهَوَت.. حينَ هَوَت

ما ارعوَتْ

يا صديقي... أعتذِر!

أرفُفْ رُصِفَت بذهول

تظنيـن أنـي مـا زلـتُ أبتـاعُ الكُتُب لِمُجرَّد أنَّ نوعية الورَق المُسـتعمَل فيها يروق لي

وغلافَها ذا اللمعة الفاخِرة يأسِرني

ولأن مؤلِّفَها من الذين تُحبُّ أن تقرأ لهم أختي الكبرى،

ولِتستطيل رَقبتي حين يسألني خالي عن آخر قراءاتي...

أوَتظنين ذلك؟!

وتظنين أني ما زلت أملأ فراغات يومي بتِصفُّح صَفَحَاتٍ مُتفرِّقَة مِن جريدة فرَغ منها

أبي، أو أنْ أُنهي مكالمة هاتفية بشكلٍ سريع لأني وكما أقول دائماً.. لا أُتقن

الحديث في الهاتف، وأُحبُّ التعامل مع تعابير الوجوه ودِفء الأرواح، والذي عَلَّقَت عليه

هيفاءُ مرة بأنه عدم ثقة بالناس- ولم أُحاول إقناعها برأيي لأني لست مُضطرة لذلك -

أتظنين أني ما زلتُ مآلاً للجميع بعد كلِّ الجولات،

لأنـي، وبـكل بسـاطة أنسـى المواقـف فـي وقتها ولا أحمـل في قلبي

تبَعَات!

وتظنين أني ما زِلت في طَور المرحلة الثانية حيثُ أهتم بنوعية ما أقرأ حَسَب فِكر الكاتِب، ونوعية من أُصاحِبُ بحسب رِضا أُمي،

وأنـي مـا زلـت أُذاكـر المـواد ليلـة الامتحـان ولا يؤثر ذلـك أبداً على مُعدَّلي النهائيِّ..

أُترجِم أحاسيسي بِعباراتٍ مُبهمَة وحين تسأليني عن معنى ما كتبت أقول: لا تُدققي.. لاشيء يستحقُّ.

أنتِ تظنين أني ما زِلت كما كُنتْ؟

حسناً اسمعي..

أنا تغيَّرتُ!

أصبحتُ أعرف كيف يكون الحقد، بل وأُتقن مُمارسته حتى مع نفسي.

وأصبحـت أُطبِـقُ فمـي علـى حقائق قصص تُبـرئ وتُدين.. ولا أحفَلْ بأحد أبداً

وأصبحت أرى وأسمع ويمتعض قلبي.. لكن لا أُبدي رأيي..

- ليسَ مُهماً على كُل حال -

لـن أقـول لـكِ أنَّ (أنـا) لَـم تَعُـد أنـا.. لأني ما زلت (أنا) وهو الشـيء الوحيد الذي أستطيع

الآن مُراهنتكِ عليه، ومن أدلتي.. أن أُمي ما زالت تناديني بنفس اسمي، ومَن ْحَولي هُم كما هُم لم يتغيروا، ولونُ شَعري.. وعدسة عيني.. حتى

ألواني التي أُحبُّها.. هي هي وكُلُّ شيءٍ في مكانه.

لكن هُناك حيثُ العُمق يوجَدْ صَدمة.. والضوء داخل عيني اختفى!

كُلُّ شيء له رائحة مُغايرة وقلبي يُنكرُني..

بلْ وينقبض مرَّات: أنْ قِفي، ما بالُ طَريقنا تغيَّر؟

.. ماذا تنوين؟!

أيضاً اسمعي..

في طَور المرحلة الثالثة.. وفي وقتٍ يُدعى (الآن).

باتت غُرفتي تشتكي ضَجِرة وأشيائي تتهامسْ

تَحكي أنَّ طريقتها في التعارُف.. تلامُس.

تلامُس..!

أنا لم أكُن أحتاج نوراً..!

أنا أُحدِّثُكِ لأني لا أدري أين الخَلل..

ولا أين الظُّلمة

.. بينما الإضاءة قوية

ونافذتي الوحيدة مُشرعَة.

والوقت نهارٌ..

ولا أدري..

أبداً لا أدري..

أين توارت الشمس؟

ألم تُلاحظي أني تغيَّرت.. أُحدِّثُك بِكُل ما لديَّ..

وأنا أنسَى أو أتناسى أن أسألكِ... **عنكِ!**

روحٌ مُشرعةٌ لخَريفْ..

أسوار روحي من قُماشٍ قد غَدَتْ

وأُشرِعَتْ..

ولا شَفيعْ.

مَن يستطيع للروح رَغماً أن يُطيعْ..!

من يكتبُ التاريخ رسماً أو طريقاً.. لي كَي أُفيقْ

لا، لم أَنَمْ.. لكن غفوتُ

وغِطاء نومي من همومٍ قَد نُسِجْ

وأنا أُريح العُمرَ من زَخمِ الخريف

وأُزيحُ من بينِ العوائقِ،

من مغبَّاتِ المُخالطِ

من جروح الدرْب

من قيْحِ الجروح

من مَّا تَجِدُّ به الظروف.

مِن، ومِن

ومن يُدينُ ومن يُدان!

يا للمعانِ الشُمَّ بلْ...

ليست بـِ شُمٍّ..!

يا للجروحِ الصُمِّ

والقلب الوَجِلْ

يا روحُ،

إني أُنادي من بعيد

والنفسُ في حُلمٍ وَئيدْ

والنفسُ في حُلمٍ وئيدِ الخطوِ لا يعنى بِقلبي

والشواطئُ لا تَملُّ زيارةَ الأمواجِ.. من شرقٍ لغربِ

وأنا أتوقُ

وأنا أتوقُ إلى الجبال الغُرِّ في قلبِ السحاب.

حيثُ الضباب ولا ضبابْ.

ولا ضبابَ سوى ضباب الروح حينَ يكون سِترُ الروح رِتقاً من قُماش..!

يستمطرُ الأشعارَ إشعاراً فَتُؤلمهُ القروح..

يستطلِعُ الأخبارَ إخباراً فَيُعييهِ النقاش..

أُطرِق..

وقد كادَت الريح حتى عَبَرتْ باردةً صوبَ الروح

من بعدِ ما مرَّت على كتف العزم... مُسلِّمةً وعتيَّة!

أسوارُ روحي من قُماش

والخريفُ على وصولْ.

أَنَفَة

شعورُ أنفةٍ عن مرورٍ كمرورِ كرام.. لا أثرَ يوصَف ولا إرثَ يُصرَفْ

أيًّا كان، أنَّى مكان.. لا حربَ للإنصاف ولا رحابةَ لانصراف..

أنفـةٌ تُشـعرُ أحاييـن بـداءٍ يُشـابهُ داءَ الملـوك الموصـومِ بمـا بعد تمثُّل الأماني،

فلا نشوة عندَ تحقيق حلم! تدفع للتقدَّم وتقتلُ المُقت إن ثَمَّ،

أَنَفَةٌ خانقة.. تُزجي بالأنفاس إلى جُدُر الصدِّ

وامتقاع اللون وازرقاق اللحظة

حرَّى الأنفاس تُنافي فيها تفانيها فَتُفنيها..

بلا صبر، بلا روِّية، بِوشمِ زيفٍ، بتكهُّن مَكرٍ.. بِتحرٍّ دقيق،

بِحَـرٍّ شَـفيق، ببـردٍ قاتِـلْ.. بِصراخِ كَفيـف، وإيماءَة أصمّ.. بِكَدَرِ طفل، ووهمِ أُمٍّ..

ويزولُ النور ممتداً عبرَ السـتائر، تسـحبهُ الشـمس بزوال ويحيرُ العقل وأنَّى تعقُّل

شـعورُ أنفة يبدأ صحيحاً سـليماً مُعافى وتكونُ نهايته حزنٌ كَسـيحْ لا مدخولَ له ولا منهُ هدفْ.

صِبا العُمر ريحٌ صَبَتْ للأقوام فصبأت عن دينِ الأوَل.. وليسَ ثُمَّ إن

ثَمَّ لَثم.. إن ثَمَّ.

أزيزٌ.. كَمِرجَلْ.. أو كفارسٍ أصمتَ الدهرَ ثُمَّ ترجَّل..

يالله! كم يوقِع أثرُ ذلك بالنفس فَتتكدَّر ولا تُنساه ابتداءً لتتذكَّر..

أَنَفَةٌ... ولا سبيل؛ فَيُحارُ العقل ولا استطاعة وأنَّى والعودة صعبة والإكمال مُحال.

أَنَفَةٌ تَوَدُّ لو أنها رجلٌ لتقتله.. أو كائنٌ هُلاميٌّ لتتخلص من وهمه.

ليست ترفُّعاً إذ ذلك يعني استقلالاً.. لكن كبرياء، وكيف..

والرتق يتَّسِعْ والراتِق يتهاون، والقطعة تقصُر فيخجلها تقلُّصها ويحجم رِفعتها

يا للزمن! كم ينضح غرابةً، ويا لنـــا كم نُمضيه أنَّى تأتَّى كان..

ويا للناس كم صاروا ثامن غرائب الدُنيا!

تتبدَّل الأشياء.. لا تأخذ أماكنها.

يُلجمُكَ عن المُناولةِ الإساءة.. لتتوقف هُنيهةَ تفكير

وقد تُعيدُ الكرَّة.. ليسَ لسذاجة بل لنسيان المضرَّة..

ويالك وأنتَ تراك أذكى.. وأنت بلطافتكَ الأشقى

دمحُ زلَّة وتغاضٍ عن إيلام..

ومعاودة..

لذلك تتأتَّى الأَنَفَة بطلةَ المشهد الأخير..

لا تدري من المُخطئ ويحجب عنها السمع الدمعْ!

حتمية العودة إلى وطن قلبي

يَذرعُ السماءَ جيئةً وذهاباً..

مُحرِّضي على الكتابة..

وباعث الحياة بين حنايا السطور.

يُبعثرُ الهواء.. كَكومة أحجارٍ على علوِّ رِجمٍ قديم

يبعثُ النور بين سحنات الغيم المُتشكِّل.. فيُردي جماله قاعَ الأرض

أفَّاكٌ يستمطر حِسَّ النور

يقلبُ قوانين الشعور، يفتِك بالليل..

ليُبدِله صُبحاً.. وطُهراً

أنَّى بَلَغ في تحليقه.. فلن يعدو قدْرَه..

وذلك بين سمعي وبصري..

حِسِّي وتوجُّسي..

خِيفةً وأمناً

تكرماً أو مَنَّاً

و... بين قلبٍ وبين.

لِذلك..

أهمس له:

عِش ما بدا لك.

فبعدَ الخريف تعود الأوراق الآبقة إلى الأشجار.. خَجْلى.

لطائرٍ مُهاجِر: لي طائرٌ مُهاجِر

هل تعرفُ امرأةً مثلي تغرِق بقطرة مَطَر؟!

* يا للغرابة يا سيدي الطائر

القريب،

البعيد..

يا للغرابة والذهول يُصافِحُ الإخفاقَ

ويُشْدِهُ العقولَ

الدهشة.. بطلةُ العرضِ هذا المساء

والجميع بها مُغرَم...

وهُناك خلفَ الستار من يتحدَّث عمَّن أرغِم

ثَمِل القصة، مَثَّل أحداثاً تُروى..

قلبٌ مُعتِمْ... عَصفٌ مبكٍ لا يُدرِكهُ إلاَّ القلَّة..

ونوايا تُخبِرُ من يسمع:

لأجلِ عيونٍ... مُدنٌ تُكرَم.

ليست بِظنون... بل بنوايا تجهرْ.

جُلُّ التحديق.. صوبَ خرزٍ وأزارير..

تُخفي سِحراً وأساطير

تحكي قِصصاً...

حِكَماً..

وتدابير

لا أُخفي أني أشتمُّ رياحَ التغيير

وأدسُّ أماني يومي لِتُصيبَ السعدَ

لِترومَ الحلمَ...

لِـتُنهي وعداً بتباشير

و... يعم الفرْحْ.

ليالٍ من بلّوْر

الليـالي أحضانٌ ولها أبوابٌ تُطرَق

فتُحسِن الإجابة

واحتواء..

وحيثُ للأبواب مقابضُ..

فلكلِّ يدٍ أثر!

وليلةٌ، أصخيتُ فيها السمعَ.

حارتْ عيني اليمنى وجالت وتبعَتْها حيث اتجاهاتها

اليسرى لأُدقق أُنصتُ،

أسمع... لتجلِّيات الأقدار.

وسألتُني عني.. وما أجبتُ

هكذا هي سراديب الأقدارِ..

لا تُنبئنا أبداً بالانحناءات التالية..

كيف ستكون.

ونتوه.. ولا نتوه.

أمَّا النتوءات على الجدران..

فللتشبُّث ولتحسُّس الطريق

ولوضع الأعواد..

واحداً، واحداً.... لمعرفة طريق العودة.

لكن.. الظلام دامسٌ. والخوف.. لا يكفيه بنا إحاطته

بلْ كادَ لنا بأن تسلَّل حيثُ دواخلنا،

وأتقَن فتسربلَ بنا راغمين

ولا اتجاه نستطيع لهُ توجُّها..

فكان الصعودُ إلى أعلى..

كدُخانٍ.. هو أقلُّ.. المُستطاع.

وما يُرام.

يا صديقي

كُلُّ شيء يدُلُّ علينا..

المطرْ.. سيحمل رائحةَ تواجدنا.

وقطراته حين تنهمرُ، ولا ننوي الهَربَ منها

والطين سيحمل آثار أقدامنا..

وظلُّنا حين يبدو أطول منَّا بكثير.. ونفرح لذلك!

الذكرى تكبر بنا ومعنا.

صَ. د. ي. ق. ي

لسنا من بعضنا في حِلٍّ.. لئلاَّ نُعين الأيامَ علينا

ولنكتفي بنا.. دون فضولٍ منها.

ولأنَّ هُناك مَن تُتقن تأطير الذكرى.

(فلا توصنِي بها خيراً واعتمد..)

تكون..

كـ (صَدَفَة) ملامحُها المُهمة لا تَبين.

كـ (شَجرة تُفاح) تَحفظ بينها وبينها أسراراً..

كـ (قصة) قصيرة جدًّا لكن أحداثها المُتتالية،

لا تترك للأنفاس فُرصة استدراك..

هل... على ما يُرامُ نحن؟!

هل.. نالت مِنَّا الأيام؟!

(ص).. كان نهاراً سيئاً.. فزعتُ فيه مرتين

الثانية: كان صَدري يعلو ويهبط بسرعة حتى أحسستُ

وكأن قلبي سيخرج في تلك اللحظة، وأمام عينيَّ.

(د).. الأولى: لم أستطع النوم كما يفعل الناس

بلْ كُنت أغرق كثيراً في أحلام مُزعجة..

كُلَّما فرحتُ بهدأة أنفاسي، كُلَّما أحسستُ بها تسحبني، فأحاول الخلاصَ، التقلُّب

تغيير الأفكار.. نَزع نَفسي ممَّا يُسمى بالنوم.. ولم أُعدْ

(ي).. هلْ سنستمرُّ مع الأيام في خِلاف لأنها لا تأتي كما نوَدُّ..؟!

(ق).. لا شيء يستحق... سوى صُلحٍ مع الروح قبل الجميع.

(ي).. لن آلُوَ حُبًّا، ولن أكُفَّ طالما أنا أستطيع.

فالحياة لا تستحق أن نتوقف عند ما يُزعجنا منها كثيراً. أبداً لا تستحق.

قليلون هُم من يستطيعون ذلك. أعلمْ.

ولكن حاليًّا.. لا أُدرك فضلَ ذلك.

لا دلالات موثوقة

رُبَّما صِنو الطَفوِ.. غَرَقْ.

..

غَرَق أوليٌّ فقط.

أعني.. ليسَ بالضرورة أن يكون الطريق محفوفاً بالسعادة

في طِوال المسافات وقصارِها.

.....

وأعني أيضاً...

لا تَخَفْ من الإقدام فرُبَّ ثانيةٍ أنجح، أنجع من أُولى.

المُغفَّل من لا يتعظ مِما سَلفَ.

لكن..

قَد تستحق بعضُ الأمكنة، الأزمنة.. تجاربَ أو فُرصاً أُخرى.

قد نكون أكثر استقراراً داخليًّا حين نُبدي آراءنا دونَ طلب لذلك.

لكن وهو الأكيد...

أنَ هُناكَ في دواخلنا ما يُطالبنا بالحديث،

إبداء الرأي.. حتى يبدو كُلُّ شيء من حولنا أكثر استقراراً..

ابتداءً بنا.

وَ..

ليس كُلُّ ما يطفو على سطح الماء فارغِاً...!

حزن النوارس

كَحُزنِ النوارس لا يبقى منه على الشاطئ شيءٌ

تحمله معها، ويتحدث هدوءُ الرَّملِ عمَّا رأى منه.

وتعود إليه الموجاتُ.. تسأله بهمس:

ماذا قالت آخر مرة؟!

تلحق بها حبَّاتُ الرملِ.. لتُجيبها

لترحل معها

وربما لتستقر قاعَ البحر

حُزن النوارس..

يُحلِّق معها..

وفي نظراتها الحَذِرة وشاية

أنَّ على الشاطئ قصة..

هُناك.. حيثُ الشاطئ قصة.

ترَكتها على الرمل..

مع الموج..

وحين تطوف.. فهي تُذكِّر المارِّين.. بأن العبث آخر شيء خُلقت

من أجله الدُنيا.

النوارس.. رفيقةٌ لكلِّ الأحداث المُعلَّقة بين سماوات المشاعر!

وتطوافها.. هداية لفكرة محمومة.. تتودد الطرقات سبيلْ!

* لو كانت الأسماء كَكوب ماءٍ دورةُ حياته قصيرةٌ

كَغيماتٍ عبرتْ أُفُقَ السماءِ

وما لبثتْ أن تفرقتْ

كَأشياء.. لا تمتُّ للواقع بِصلة..

لَكُنَّا أفضلْ.

لكنه شيءٌ... كَامتداد قوس قزح إعلاماً بشيء حادِث

كائن

عامِل ومُعمَل.

أو..

كَمطر..

تتحدث بالنيابة عنَّا وننوء بها حملاً

حتى لو طال بنا العمرُ، هي هي منذ أن أطلَقها علينا أهلُنا

أحياناً أشعر أن الحياة طويلةٌ بِشكل يبعثُ على الضجر

وأحياناً.. أخاف من انتهائنا ونحن لم نملأ أعيُننا ممَّن نحب

أو انتهائهم!

هذه الأيام أنا أُكبِرُ البحرَ والليلَ.. أشعر أنهما مُجلَّدات تُخلِّد عِبَراً

وقصصاً مرت بهما.

شاهدين، شـاهدين..

بِودِّي لو أكتب أحرُفاً للريح

للغيم، للأيام الفائتة وليست المُقبلة، لسلة المُهملات

لدرج مكتبي الأخير والذي يحوي الأوراق القديمة

لمن لا يعرف القراءة وللنافذة المُطِلَّة على ما تتلقفه الريحْ

الريحْ، الريحْ...!

لأني حينها سأكتب بِصدق

مُدركةً تماماً أنه لا أحد سيقف بيني وبيني

ضاغِطاً بقلمه على قلبي... لماذا وكيف ومن أجل من؟!

ساكون صاااادقة جدًّا.

وذلك حين يتأكد لي حجم معاناتنا مع دواخلنا ورفضُنا للواقع أيًّا كان

وليتنا نصمت، لكننا نتحدث عنَّا وكأننا قديسون مثاليون بيض

بيض

بيض

* ماذا يفعلُ قارئٌ نسيَ أن يضع علامةً صغيرة عند آخر حرف قرأه ولم يَكُن يدري في أيِّ جزءٍ كان.. وما الذي كان يقرؤه أصلاً؟!

ماذا يفعل من يعبَث بلامُبالاة..

وعبثُه قاتِلٌ.. قـاتِلْ.

ماذا يفعل من لا يُدرك في أيِّ الأوقات نحن، ومطلوبٌ منه أن يحضُر في ساعةٍ ما

ولا يدري أصباحاً أم مساءً هي!

ماذا يفعل من طُلِبَ منه أن يحكي شعوره وهو فاقدٌ للنُّطق مُنذُ سنةٍ ونيف!

ماذا يفعل من لا يسمع والسؤال المكتوب هو:

اكتب رأيك بالقصيدة التي سمعتها الآن.

الآن..! لم يعبُر صوبَ قلبي شيءٌ..

والله لم يعبُر.

* لا شيء أبداً سوى أنَّ طولَ العهد يصنعْ.

أجل يصنَعْ.. يصنعنا

بُغضاً

حُبـــًّا، وُدًّا

حِقداً... شوقاً

موقَدٌ ونارهُ لا تبرُدْ!

يصنع طولُ العهد قِصصاً يحفظها التاريخ

يُنسيها من يهفو للبعيد دونَ أدنى تفكير بما تُخلِفهُ خطْواتُه.

لا أدري.. ولكن كلَّ الوجوه التي تُقابلني..

أُسامِر فيها وجهاً آخر.. ما أبدَتْه.. وما شاءت.

يا ربِّ.. هَبني روحاً بعقلٍ مرساهُ على يابسة

لا يحولُ ولا يزولُ.

يا ربِّ.

* تكتظُّ رئتك بأحجار صمتك..

كَأن تسمع حوارَ عَدْلٍ ظالِم

ويقمع ردودَ أفعالك

إيمانك باللاجدوى.

في حياتنا، لن يُحدِثَ تنافرُ الغيماتِ مَطَراً،

ولن تسمق الزهور والشمس خلفَ الجبل،

وصدورنا لن تأمَن.. دونَ (يااا رب).

ولا شيء أشمَل من سطر.

وذلكَ حين يحيرُ الفكر أيُّ الحديثِ أنجَع.

* وأضعُ يَدي على خدي..

أنتظرُ من الليلِ إجابة!

جُنَحُه يُنبئ عن إجرام وهو ببراءة يتفلَّتْ...

ليسَ أسوأ من أن تكونَ حزيناً إلاَّ أن تكون كَعود ثقاب مُشتعِل

يضوي بعنفوان والجميع سُعداء و...

هو دوره في الحياة على كلِّ حالٍ.

لا أقول بأنَّ ذلك هو شعوري الآن لا، لكن...

أنا أتحدث عن رِضانا عن الحياة من حولنا..

ابتداءً وانتهاءً وماذا فعلنا من أجل ذلك.

المُدخلات + النظام + المُخرجات = هو قانون مثول الأشياء أمام الدُنيا

ماذا عنَّا!

* هل من دالٍّ لي على المعنى لذلك؟!

لماذا تُطالِع بعضها البعض الكلماتُ ولا يتقدم أحدها مُضَحٍّ نيابةً عن البقية

لِيسقط شهيداً كَبطلٍ قوميٍّ أثَّرت به أهازيجُ النساء، وأثارت حَمِيَّتَه القومية والعاطفية ربما..

أجل، ويظهر أخيراً بشكلٍ ساذِج.. مات، ونَعِمَ الجميع بعده على رُفاتِ جسده

وإن نُصِّبَ لهُ تمثالٌ فذاكَ كثير..

يا كلمات: أحاولتُ إقناعكِ وفشلتُ؟!

ماذا أفعل والرؤية أمامي غَبَش وأنا مُتعبَة.. ولا أدري من أين أبدأ وأنتِ لا توَدِّين لي مساعدةً...

هه.. أجيبيني ماذا أفعل؟!

* سُراةُ الليل حديثهم مع النجمْاتِ آسِر..

ولن يكون حين يربعون بين أهلٍ ومنزل.

وتمُيلُ الطرفَ بِملل.. ما عادَ ما اعتادَتْ..

وما مِن سَبيل..

وتَغضُّه.. حالَ ذِكرى فاخِرة بينَ غيْمٍ يواري، ويواريه القَمَر..

وتُقيلُ العثرات الأوَلْ

وتُطيلُ مطالعةً له

ولطالما يا قمر ولطالما...

وذلكَ بعدَ أن أخذَت نفساً عميقاً

ونوَت جوداً بِجِدٍّ

وجابَت نبعَ الوَجد

قطفاً ونهلاً للوُدِّ

وما وُجِد..

وما أُفتُقِدْ.. لا سبيلَ لهُ آخر يا قمر!

وما أفادَتْ لهدء ثَلم النجمات سوى تباشيرُ صُبحٍ بِدُعاءٍ عادَ

.....

....

لا أثكلَ اللهُ قلباً لا يرعوي عن بحثه بينَ الوجوه

وفي التفاصيل وحتى آخر أطراف الآفاق..

وفي مناحي التيهِ عن شمسٍ.

* وكُنتُ كمن يقتاتُ لأطفاله في آخرِ أحداثِ الحرب..

ولا أخبـارَ تهمُّـه.. ولا نَصْـرَ ولا خسـارةَ... فقـط ثُقـب صغير في قلبه يؤلِمْه

كُلَّما حاولَ سحبَ أنفاسِه

وكُنت لا أقوى على الحديث..

وكان الصمتُ حليفاً أوحَدَ لا يقبلُ قروضاً مؤجَّلة، بلْ...

يداً بـِيد، آناً بـِآنْ.

وكُنـت أدفِـن قصصـاً- بـل وَحيـاً- فـي أعماق أعمـاقـي وأكذِب وأنا أُصمِتُ اللاباكيَة

وكانَ كُلُّ شيء رماديَّ الطلعة، لا بهاءَ فيه..

وأصبحَ اليومُ أمس.

وأطلالٌ في صدري تذروها الرياح يمنةً ويسرة

أُصمِتها ما زِلتْ..

أمنعُ حتى الأنفاس حتى لا تزفِرها حرَّى.

ويوقفني هاجِسٌ... أن أنا أينِي؟!

وأُعيدُ هندمةَ الشعور بناءً عليه، أن...

قفي يا طلْعَة الشـمس فأنتِ لسـتِ إلا كما ترسُـمين مُذ وُلِدَتْ أولى الأحلام

وما فُطِمت بَعد؛ فاسـمقي حِسًّـا حتى وإن أعييتِ، فالقِمَّة ما برحتْ تُومئ..

وتُغمـض عينيهـا بحنـان، تعالـيْ يـا لُـبَّ النـور ويا هالته، ويا اسـتدارة الشروق

حالَ تجلِّي.

تعاليْ فمكانك بانتظارك وما كانَ ولن... إلاَّ من أجلك.

وأُسنِد رأسي ميلاً، ارتياحاً وتعباً

وأدفنُ وجهي لِتتلقَّف شهقاتَ بكائي

ضُميِّني..

اشتقتُ شمَّ هواء لم يُمزَج بِسَموم نوايا

وأهدافَ حديث.

* وكنتُ متى ما استدرتُ باحِثةً عن إجابة

أُفاجأ بِصَمت..

فَتجمعُ ماءَ وجهي الريحُ..

ويَجد من الأشجارِ حفيييفاً يُشبه قولَ المرءِ:

جميييييل

تتناءى ميلاً للبحر

وتتقارب مُعلِنَةً حِلفَ فضول..

لأقول:

ما معنى أن يعوي النسر

ويجدُّ من الطيرِ هطول!

ونُغاثُ بِثمرٍ من يقطين

وينمُّ عن الغيمِ أفول!

وتنوءُ بما تحوي الشمس..

ويحلُّ الليلُ بغيرِ حلول؟

وتتوه تتوه زهورُ المرْج

ويطيرُ سِراعاً سِرْبُ وُعول!

سِربْ..!

وعلى ماذا نُطلِق قولَ: قَطيع إن كان الوعلُ إلى سربٍ ينضمُّ؟

لأفرِّق جيشَ الأفكار ببقايا قَلَمٍ جرَّار... وأحير!

بماذا نعرف أصحاباً إن كانَ النُصحُ يُضير..

يا لليوم.. لن يَمضي بأقل خسائر، وإن أبقى من عقلي شيئاً

فتلكَ غنيمة.. تكفيني ولن أحتجَّ.

أو تعنى بما تعزفهُ الريح

وأنا يجرحني الصمت!

وأُشيح.. أشيحُ إلى حيث البيد

ولمَّا تأتي برائحتها الأيامُ

أتماهى شوقاً وأزيد.

يـا للعُمر!

* وكُنتُ أبحث بينَ أوراقي عنك..

لا، لـم أبحـث عنـك بيـنَ أوراقـي. بل بيني وبيني وكانَ الدمع يمنعني من الرؤية

وكُنت أُكابِر.. أُكابِر حتى كِدتُ أموت اختناقاً بمكابرتي

وكُنت حينَ أراك في أحلامي أقول بصوتٍ لا يُسمع: (لِمَ)؟

وكُنت أصرُخ بها، ولكنها لا تخرج مرتفعة وأنا أختنق

ممم.. حسناً غادِر أحلامي.. أرجوك

لا، لا تفعل.. زُرني الليلة القادمة، البارحة لم أسمعك تحت صوت المطر...

تعلمْ.. قد تكون هذه دعوتي الأخيرة لك..

أُمي تقول وكلهم يقولون:

كُلُّ الأشياء التي نُحبها نعتاد فقدَها بعد وقت..

تعلمْ أيضاً، أُحب الجلوس على عتبة الغروب الخريفية الأحداث

أُحبُّ ذلك أكثر من أيِّ شيء آخر..

آه.. صغيرة حزينة وهادئة فقط.

* عندَ آخر لحظة بين سقوط قطرة مَطَر فوقَ بِركة ماء، ثَمة شعور لا تصل إليه في اللحظة المُناسبة أبداً.

وعند اللحظة التي تنتقل فيها من الضحك إلى البُكاء ثَمة قلب لا يُتمنى في تلك الساعة أبداً.

وعند الحدود الأخيرة، والنظرة الوادعة الصامتة الشائكة الحديث، والأخطاء المُشرعة لانتقاد،

والأيام المتقلبة الأجواء، والذاكرة المُتخمة بالأحداث والمشاعر المكلومة.

أجل.... فحينها أيضاً ثمة

وقفة، عندَ أطراف الحقول شيء آخر لا شأنَ لهُ بذلك كُلِّه.... نبْتاتٌ تتهامس:

- أرأيتِ الشمس لوَّحَت لي؟

- لا، هي تعنيني..

- لا، لا تعنيك ولا تعنى بك، بل أنا..

- لا، أنا!

والشمس مشغولة بتبخير البحر

والليل يهمس: من يوقظني عندما يحين دوري

والأشجار القديمة ملَّت....

وأنا دوري هذه المرة مُشاهِدٌ شاهد بين يديه قلبٌ يبحث لهُ عن مدفن
يليقُ به..

إذ لا شـبيهَ لـه بنظـري أنـا طبعـاً وأكتفـي بـي إذ لا دربَ آخـر أسـلُكْه
يكفي لاثنين

* سبحان من فَلَقَ اللقاءات الصَموت

سبحـان من أجرى على كفِّ المُصافحةِ الوداع

سبحان من أسرى بِغَيْض الذكرياتِ إلى الفراق

سبحان من أفضى بتيار التوافق من علوٍّ وارتفاع

حتى هبوط، حتى غدا بعدَ السفوح سقطُ المتاع

سُبحان من... أمرَ الحبيبَ بأن يقول:

هوناً ما

وهوناً ما..

عسى أن

وعسى أن.

وما أسوأ أن وأن وأن والأسوأ مِن..

ألاَّ يسوقَ الأمر أسباباً شَفوع.

..

...

للذكريات عِطرٌ يضوع..

* الحادثات تنزُّ من أعماق الروح

بهيئة فقاقيع

لونها واحدٌ

شبحيُّ اللمحة.

وتَقِف على حظ الصُّدف لحظةٌ قاتِمة...

لا تُرفَع بها هامةٌ..

ولا تَحُطُّ على أغصانِ الروح فيها حمامُ!

وأُخمِّنُ بينَ تقاويمَ عديدة أختارُ بعشوائية...

لأجِدَ الطالَع.. يُطالعني بخيبة: أريحي العزم فالـ(ثمَّ).. سيكون.

وأُجيب ضاحكةً بثقة: وحُسنُ الظن؟ ويقول:

إذنْ مَنْ؟

وكانَ النفسُ راتِعٌ

في الضيقِ حتى استمرأ،

وخِلته حتى ذلكَ الآن مستوٍ على

جوديِّ الأمل

يلحَظُ الأُفُق

بعينِ الترقُّب..

وكانَ حدُّ الفِكْرِ يشرق بدَقيقِ

الحظ حيثُ

تذروهُ الرياح

ويومئ لِبعضه البعض وداعاً

لا لقــاءَ بعده..

وأتساءل: أوَ ثمةَ دليل؟ أوَ ليسَ يُدعى حظًّا؟

إذن ليسَ على قاعدةٍ راسخةٍ يعتمد.

ومع أُولى هبَّات الريح يغمُرني إيمانٌ يبلغ أدقَّ تفاصيلي

بأنَّ الأمر لا يعدو كونه قناعة وإن لم أبرحها فلن أبرح

مكاني لأومئ برأسي مُقتنعة.

* سجينُ قناعاته يَجِدُّ في الحديث مع الآخرين
عَبَثٌ هو بغِنَى عنه
بينما يتوق أحياناً ولا يدري سِرًّا
توقه.. لِمن! ويحدوني
الشوق.
لأقيسَ المسافة
بين كتفيه اعتياداً،
وأنا أعلم أنَّ كُلَّ
المسافات بيدينا
تكبُر أو تذوب!

* في رسالتي الأخيرة: لا لأيام الصانعة

كُنت أُخبرها عن آخر مُستجداتي.. وكانت تَظَلِّل جبيني بعضُ خيبات..

لا، ليست خيبات

بل ظُلَلُ أحداث على أثرها أتى شـيءٌ لا يُسـمَّى حُزناً لكن لا يخرج من تصنيفه،

قُلت لها: حسناً كلُّ شيء على ما يُراام!

وتوقفـت كثيـراً نَفَسـاً، حِسًّـا وتفكيـراً وأنـا أنطقهـا.. لأنـي لا أُحـب استنطاقي من هذا الجانِب..

لـم تسـتنطقني هـي.. لكـن أنـا وجـدت أو فكرت فـي أنهم دائماً حينَ ينوون إرسال رسائل للطمأنة..

يقولون: نحن بخير.. وكلُّ شيء على ما يُرام و(حَابعتلك مليون سلام).

فيما لو سألتني أيَّ سؤال آخر كَـ: هل ما زلتِ تشعُرين أنَّ نهاية الدُنيا عند كُرسيِّ طبيب الأسنان،

وتلك الآلة التي تقول... لوجدتُ إجابة أكثر سهولة.. رُبما

رُغم أني لا أُحب الأسئلة المُباشرة...

(لا أُحب، أكره.. أوَدُّ.. أنا، أفعل، يحلو لي...): مُصطلحات يستخدمها

الأشخاص المتَّسمين بالأنانية غالباً،

أأنا أنانية؟ ألم تكتشفي ذلك بعد؟!

مَن؟ مَن؟... مع من أتحدَّث أنا!

حسناً يا - الأيام الصانِعة - سأُخبركِ أيضاً عن رغبة اكتنفَها شعورٌ بعجْزٍ... وحارَ فكري حين أيقنتُ بذلك

قانون الحصول على الأشياء يبدأ وينتهي بالرغبة والعزم..

أحياناً أقول: (بيرين) استطاعتْ..

أنا أستطيع

كُلُّ الطُرق سالكة

لا إشكال في الأشياء الجامدة لأنها لا تستطيع فعل شيء حيال نفسها حتى الإشكال في.. في..

حسناً فينا

(نحن)، لن ألوم أحداً، وسَأكتفي بلومي وحدي صانعةً ابتسامة كبيرة كَهيئة نصف بُرتقالة وسأتدبر أمرَ كُلِّ شيء..

حتى لو كانَ كلمةً كبيرةً بحجم كرة البيسبول، سأبتلعها وكوبَ ماء وسأقول ملوِّحةً: أهلاً...

وسيمضي كُلُّ شيء.. أعلَم.

مممم.. أرأيت؟

نسيتُ أن أُخبرك عن شيء اكتشفتُه هذا المساء..

حينَ نُطفئ الأنوار يُصبِح لونُ كُلِّ شيء أسود.

هل تشعرين أنكِ تقرئين رسالة من أذكى مخلوقة على وجه الأرض؟!

- يا ليل، أتشهد حينَ استشهدك

اصمُت.. دعني أُكمِلْ،

هَل حَدَثَ لك مرة أن تعثرت بـ نجمة؟!

أم أنك أكبَر

أو سامقْتَ الغيمةَ أو سبقتْك؟

ولم تتعثَّر

هل جانبتَ الأفلاك..

أو زاملتَ دروبَ الشمس

أو واريتَ القمر بهالات..

واستوحى منك النور..

وما استطاعَ عبوراً!

يا ليلُ، عُذتُ بربِّي من أيامٍ مُقبلاتٍ بِمكر

وأنا كَتلَّة ترقُب من الشروق أوَّله..

وللغروبِ ترمُق.. وفي عينيها وُدٌّ للشمس و.. وَلَه،

تلَّة.. ما ارعوَت من حَملِ بذور الريح واستمطار الغيمات،

وحينَ تَفتَّق نورٌ.. تُثمِر زَهرْ.

تلَّة.. أعياها شوقٌ لك، ترمُق ألوانكَ عشيَّةً، وحينَ سَحَر.. وقبلَ الفجر

وحالَ الليل، وعند الظُّهر

تزفر.. أنْ يا ليلْ أينَ العهدْ؟!

اسمعني..

لستُ بحاجة لتراتيلِ دُعاء أو تنميقَ مواساة

تنتشلُ الروح من أعماق الآه..

أنا فقط.. أعيتْني طيوفٌ ما برحت مُفارقةً ووداع

أعيتني أسئلةٌ عن نوعِ متاع..!

يا ليلْ.. أقِفُ ووجهي تُحرِقهُ هبَّاتُ العُذرِ ولا أهتمُّ

وأُفيقُ على (فِداكَ خطوبها نشراً وطيًّا) هل تعلم..؟!

حينَ تَهمُّ بالمُضيِّ فأخبرني ودَعْ عنك.. هل أنتِ بخير... أكرهها!

* أمَا اقتربتَ مرَّة من حطب يحترق؟

نارهُ تصطلي...

أما وجدتها تتآكل، وهسيسُها باردٌ حتى العَجَبْ!

تتشامَت، هكذا... هكذا، والنهاية باقتراب

والصعودُ الأول باتَ ضرباً من سراب

تصغُر، تصغُر.. وفي عينيْ صميم الحطب دمع

ومع كُلِّ تهدئة.. صوتٌ مجروح لا يتناهى إلاَّ في عُمْق

فحيح النار..!

تنظُر من ثُقبِ الخبوت،

تومئ بيدٍ من شرار

ممَّن يصدُر صوتُ فحيح؟

من يتحدث.. أكانت ريحاً؟

وتقولُ: فحيح؟

أتعني المكرْ!

أتُعنَى بنهايات القهر؟!

دعني وشأني.. أعرف كيفَ يكونُ الصبر

وتتجلى أستارُ المسرحْ..

لِيظهر بَطَلان:

رمادٌ خفَّ حتى طار

وريحٌ تضحك..!!

* نورُ الجلاء لا يُشبهه نورٌ

حتى لو تقاطعتْ الشُّبَهْ.

وإن كُنتَ ترى أني ما نَبَّهتُ به..

أفلا انتبهــتَ له

وعنيتَ بِه. وأرحتَ عنائي..

مما أُشقيتُ بِه...

كُنت أُحدِّث قلبي وأنا أُخلِّل شعري بأصابعي...

ورائحة الفانيليا تضوع عبْرَ روحي، واستغربت منِّي حُبي لها هذه المرة

ولم أكُن كذلك قبلاً.. وفي عُرفي أيُّ تغييرٍ طارئ.. خلفهُ أمرٌ جلل..

ولا أدري!

* حينَ رغبتُ بأن أوقِف قلبي..

أحكمَتْ يدي على أنفاسي الإقباض

وعاتبني عقلي..

وما ارعويتُ

إذ خبا وقُهِر.

(قلبي) أعني!

❋ ذابتْ اللغة..

وهززتُ إليِّ بجذع

البوح، فما نَبَسَ بِبنت شفة،

ولا سَقَطَ منه رطبةٌ واحدةٌ تُنبئ عن استجابة،

أدنى استجابة!

* النجمات المُرصَّعة في وسط السماوات

مالها تنظُر إليَّ هكذا..

غامزة، هامسة

وأنا أستطلعها الخبر عبر حاجبَيَّ تساؤلاً

ثُمَّ أُحِدُّ النظرَ... أن: ماذا؟

ما بِك؟

وتتهامس ضاحِكة!

ممممم.. حسناً أو (وششش)

لا أُريد أن أسمع، أكره الأخبارَ المشقوقةَ الأطراف

فَتتناظر جازمةً..

فوقَ رأسِك تسكُن فراشاتٌ

أطلقيها...

لأصمُت كثيراً والواقع يُباعِد بينَ وجهي ووقْع رأيها..

ويُباعِد ذلك أكثر... كون الـ(رُبَّما) حاضرة!

وأتحسَّسُ أعلى رأسي ويهتف قلبي.. بالهون

لِتنتصب- رُبَّما- تنفِث حقائق أحقَّ بالتصديق

لِيضيقَ فسيح الكون...

ويتجرَّع صبري ما لا يُطيق

لأخالَ يدي تُطبِق على الكوب القبضة حتى يذوب

من زجاجٍ كان.. لاحِظ ذلك!

* أجحفتِ الغُربة بإبهامها على عُنقي، وأنا ما برحتُ ابتساماً

وداخلي ينوح...

وصوتي يَضعُف واستعين بِطريقٍ طويلة سلكتها قبلاً

وأُسائلني.. أفِي الأنفاس مُتَّسَع؟!

و... أصدُّ بوجهي: لا، لا، لا..

لأعود أرسم ابتسامةً بِقلمٍ من خَشب

من تلك النوعية التي أحرص على شمِّها قبل اقتنائها..

وما زالَ الإبريقُ المكسورُ في داخل قلبي يصدَحْ!

لا أُريد أن أكتبَ أكثر..

ابتعد أنت أولاً.. وثانياً وثالثاً... لأستعيدَ حياتي

أعلَم أنِّي مشروعُ أسطورة.. لكني لا أُريد أن أحدُث..

لم أُخلَق لأكُفَّ جناحيَّ...

أستأذنك.. وخُذ قلبي معك.. أيضاً هو لا أريده!

وهذا الجانب من الحياة أنا في غِنىً عنه...

وسأعود لأقول للدُنيا: صباح الخير

صبــاح الخير وستذوب داخل صباحات عينيَّ..

ولستُ عنها سأُساءَل.. أو أهتمُّ.

وسأُحوَّلُ الوِجهة نحو أمورٍ أكثر إيقاعاً على قلبي

أوه.. نسيت ذاكَ الذي تركته.....

...

لا يهُـمُّ.. سأتدبَّر أمري..

* ليسَ للغروب جهة

لكن.. قد تكون أرض!

يومئُ الصمتُ للحديث أن كُفَّ... لا جدوى

....

لِتتهامل دمعاته.. ويُشيحْ.

كارهاً اللحظة بكل تفاصيلها

متمعِّر الوجهِ من الذكرى...

جِبالُك يا وطني، ما ردَّت صدىً صوتَ نداءاتي..

خائفة وقلبي هواه أهواه..

وأضع يدي على فمي مُمسكةً بآخر حِبال أنفاسي

تلك التي تُشابه خيوطَ الشمس....

وقلبي حتى من بين أصابعي ينوي الفرار

والموت أعرض عن نبْتاتي الثلاث الصغار

ولمّا حاولتُ قراءة عينيه.. غَضَّ

وغاضَ النور من عيني.......

وأنا كَوردة قُطِفَت للتوِّ...

فخبَّأَتْ ماءَ جذورها لسنينِ الجفاف

إن كانَ ثمَّةَ ماءَ لم تَستَعِرْه الشمسُ.

* رُبَّما يتسلل البحرُ عبرَ النافذة..!

رُبَّما كما فعل قبلَ البارحة.. واستغرقتُ ليلةً كاملة أرسم على الحائط قـواربَ صغيـرة.. ومناطيـد.. وأخشـاباً مسـطَّحة للضـرورة لو نفِدَ كلُّ شيء.

سعيدةٌ، أجل سعيدة به. لكن حتى يطمئِن الجميع أفعلُ ذلك.

بينما أنا في قلبي ملاءَة قرمزية وخلفَ قُضبان صدري

طريق طويلة لا أستبين من نهايتها إلاَّ لوحةً مكتوباً عليها:

بقي رُبع المسافة

وأقِف مُلتفِتة صوبَ قلبي..

- كم قطعنا؟

- مِقدارَ كوب قهوة من ضَجَر (وهو يرقُب زوالَ الشمس).

- لحجم الكوب فرقٌ في التقدير (أقولُ له)

- احسبيها بتقديرك، أيًّا كان...

وأسمع هديرَ البحر يطرق النافذة وأُخفي ابتسامةً صغيرة عن قلبي،

لأُشرِع لهُ النوافذ،

وأُرتِّب عبورَ نقوش الحائط... صوبه.

* الديك يقول إنَّ الصباح حلَّ.. وتؤيده الشمس، وقلبي يقول:

أُريدُ أن أغفو قليلاً... أسدِلا الستارة

ذابَ الحبلُ في يَدي ولم أعقِدهُ بعدُ في رِجل الزاجل لِيطير..

ومعهُ ما نويتُ أن أقول!

وحينَ نزعتُ من شعري واحِدة لأعقِدَ بها ما في قلبي..

كانَ الزاجِلُ قَد استوى طائِراً في السماء

وحينَ أدار رأسَه ناحيتي.. عَلِمَ من عينيَّ حديثاً.. فَعاد.

لم أجدُ ما أودُّ قوله!

فأومأتُ لَه أن:

بِحفظ الله غادِرْ.

* هه.. لا مكانَ لا وطنَ؟؟

لا، هُناك مكانٌ...

هُناك وطنٌ...

وليسَ بالضرورة أن يُلمَسا، يُتحسَّسا

يعيشان هُنا.. في دواخلنا

ألا يكفي؟!

* قد يطرق بابَ قلبك الشعور بِأنَّ هُناك ما يجب الوقوف عنده؛

مراجعةً،

تغييراً،

تدقيقاً

تبحث عنه.. وفي روحك لونٌ يمشي عكسَ السيرِ يومئ للبقية: كيف الحال، هل هُناك ما يُقلِق؟

والحقيقة قاسيةٌ بعيدةٌ قويةٌ مؤلِمةٌ كبيرةٌ نظامها يُعيي.. والأشياء السهلة ليست هي الطموح..

ترقُبُني.. الحقيقةَ أعني،

تُحدِّثني، تبحث معي، تُسايسني، تطرح الأسئلةَ في طريقي

وتبتسم وأنا أسألها أكثَر.. تُحبنُّي، تقسو عليَّ وأحياناً تلين، تصفعني ثُمَّ تعود لضَمِّي.. لأُغمِض عينيَّ..

ألماً، تعباً،

حيرة، بل وخروجاً عن واقِع.

وألتقط أنفاسي في بنياتِ الطريق،

بِروحٍ تنظُر آخرَ الدروب وتلتفت إليَّ.. رُبَّما نحنُ لا نسير في الاتجاه

المطلوب.. أنظاري

وأكتافي والريح.. وتُشيرُ إليَّ في كُلِ مرة أنْ:

من هُنا الطريق.. وصوبَ العالَم الكبير المُخيف

المُزعج تتجه أنظاري.

أسمَع.. ولا أُطيقُ سماعاً إلى التخبُّط يقود..

حتى لو أحببتُه فوق الحُبِّ أصواعاً، وحتى لو كان الشيء الحلوَ الوحيدَ

في عالمي؛ فلا

أظُنُّ أن لديَّ استعداداً ليكونَ الطعمُ اللذيذُ المؤقتُ هدفي،

اللهُ قادِرٌ وهذا أمر مُخيف. وأنا نُقطةٌ في بحرٍ زاخر مُتلاطمةٌ أمواجه

أفَصعبٌ ضياعٌ فيه، تلاشٍ، وأيُّ سؤالٍ ذلك المُضحِك عن قَطرةٍ

من ماء كانت مرة تُسامِر حبة رملٍ على شاطئ ثُمَّ راحت مع الموج

لمَّا نادى بالرحيل

وعَتَى، واعتلى... حتى توارت بسمتها بعيييداً ولا أمل.

أو حتى حُلم بعودتها أُخرى... فكيفَ

والأمواج لم تُعطي أيْماناً

موثَّقَة بحفظها!

يا رب أنتَ معي... لكن أنا لستُ معي!

* الغريب أنَّ لحظات الإدراك تأتي تعيسة..

السماء تضحك مما يجري تحتها..

والأرض تهتزُّ كُفُّوا..

مُزعِجةٌ هذي الثقة فوقَ سَطحي..

والشمس تُداهِن إلى أجل..

والقمر يكفيه من الدُنيا الثناءُ.. لاشيء مُهمٌّ لديه..

والمطر رفيقٌ رَفيقٌ.. يبخل بنفسه. لكنه يعود،

وأيضاً بها يربأ.. أحايين،

أعني ليسَ دائماً.

ونحن نحيا مُطمئنين، وكُلُّ شيء يدل على النهاية..

حتى الخفقة بعدَ الخفقة من نبضنا... إذ لا بُد لشيءٍ ابتدأ من نهاية.

أيضاً لحظاتُ الإدراك تأتي تعيسة

* سَيِّدي..

السماء عادَت مُجدَّداً تهطل أرزاً..

هل بإمكانك أن تُمسِك مِظلَّتي فوقَ رأسي قليلاً

فقط حتى أجمعَ سبعاً وسبعين حبة..

حبَّةً.. حبَّة

لن آخُذ وقتاً طويلاً

فقط... ظلِّلني.

* حسناً..

هُناك من يُخاطِب الرغبةَ، وهُناك من يُخاطب العقلَ

العقل أكثر رؤية.... والرغبة أكثر نفوذاً

الغريب معرفة النتائج

والأغرب الاستمرار في الخطأ،

العالم السخيف مُتمكِّن وماعداه أسخف.

المزاجية متحكمة والثأر لم يمت.

الإنسان كائن مسكينٌ جدًّا، الحياة تحاول الاستمرارَ بابتزازه.

وهو يمضي ظانًّا مكرَهاً.. وهو الممكور به الضاحِك.

* هَبْ أنَّكَ رسمتَ العُمرَ (خريطة)، والأحبةُ فيها (علامات ودلائل
على الطريق)
وأنَّ الأيام لم تُعطِكَ منهم ولهم دليلاً صادقاً يملأ راحتيك ثقةً بهم!
أو هَبْ أنَّ الغيب دَسَّ لك من بين الهِبات (قُدرةً على تغيير العالم)...
فهل تَرى فيما حولك شيئاً يستحقُّ التجديد، أو النزع رأساً،
وإعادة رَصْف الأحداث من اللبِنات الأولى!
قالبُ (الحدَث الصغير) مرآةٌ لواقع طالما أطفأْنـا عنهُ الأنوار، وطالما
ردَّدنا أننا وإيـّاه بخير.. لكن
هل صدقنَا وصدَّقنا، وهل نفَضْنا عنَّا عناء السمع والرؤية، وأقررْنا أنَّا
نحو التقصيرِ نسيـر؟
وماذا لو اتسـعت الدائرة.. أو أبدلنا الأماكن. أو أشـرقتْ شـمسُ يومٍ
جَديد بأحداثٍ أقرَب مكاناً ووقعاً!
وبمقابل أشياءٍ أُخرى ليسَ مُهمًّا ذلك..
لكن لو سلَّمنا بحقيقة أننا نسير بُخطىً خاطئة على صعيدنا الأوسع..
وأنَّ الطريق الوحيدة السـالِكة سُـلِكت قبلاً لكنها للأسـف لم تُمَّهَد..
وأن القُربان الأوحد لم يعُد

يكفـي.. بـل نواقيـسُ الخطـر تُعلِـن أنَّ الوضـع الراهن يحتـاجُ لقرابينَ أُخرى!

تأنيـبُ الضميـر، ثقـلُ الكاهِـل، والشـعور بالذنـب، مِجَسَّـاتٌ -رغـم إيلامها- إلا أنها ذات دلائل جيدة تمضي بنا نحو الواقع..

بكلِّ صدقٍ وشفافية.

المُشـاركة حِسًّـا ووجداناً جميلة، والأجمل منها السـعي نحو التغيير للأفضل بِكُلِّ السُبُل المُتاحة.

وكلُّ ذلك يعني أننا يجب أن نعنى بما حولنا حتى يُعنى بنا لو احتجنا..

* تطاولني الأيام الوقفة... تسمُق مرة وأسمُق أُخرى..
ونرسم خطَّيْن موحَّدِي الانطلاقة مُتعاكِسي الاتجاه
تُشير لي.. هُنااااك انظري، وأُشير لها بل هُنااااك،
تمسح بإصبعها على زُجاج الأحداث وأُحدُّ النظر
لِما خلفه...
الأيام.. صديقةٌ دائمةٌ للأبد..
فهي من توثقنا جدًّا.

* يستنطِق الصدقُ الصادقين بِخَطْرٍ فقط

فكيفَ بحديث!

وأيُّ حديثٍ عن أمانينا ستُرفع له اليد مُعارضةً؟

يدي على خارطة أمني وسأُحدثك عن نوايا كثيرة وأُمنيات..

لكن قبلاً أخبرني..

هل جميعُ الطاولاتِ والكراسيِّ مُتشابهة.. وهل ستذكر العابرينَ

وقصصهم، وصورهم أيضاً حين تعكسها الأكواب!

أم هي الحياة.. تقول لنا في كُلِّ مرة:

هذه اللحظة عِشتها مرة

ولا أدري متى؟

لِنُغادر كنزنا المُكتشَف أخيراً بِخيبة تقول: تكرُّر ذلك يعني أنهُ عاديٌّ جدًّا

ويحدُث للجميع....

مروراً مروراً.. كعُبورِ ريحٍ في غَسَقٍ فوقَ كثيبِ رملٍ مُستكنٍّ... ما مارَ منها ولا أرعبتْه.

* قد تموت الابتساماتُ العذبة قَبل أن يَصل إليها كَرَمُ السماء..

تبتهل.. تبتهـل...

وفي نداءاتها ألمٌ تنقِله الريحُ إلى حيث الآذانِ المُصغيَة.. بأمل ولؤم
وألم،

لكـن لا أحـد يـرى بعينيـه إلاَّ مـا هو أمامه.. بينما بالقلب أبعد.. أبعـد
بكثير

وكلٌ يفعل بحسب ما يرى، ولسنا نملك تغيير ما يُرى.

* تَمشي على الصمت.. فيئِّن،

وتغـرق بعيـنٍ اغرورقـت بالدمـع ولـم يسـنح الزمن بِفُرصة لأن تَصدق الحديثَ الحديث،

أو تتسـرَّب... لِيكونَ الإفضاء فضـاءً، مُتنفسـاً... حديثاً، وأنطقها بمدٍّ مدٍّ يُنبئ عن زفرة طويلة

تلتصق معها رئتي وتستنجد، أسترجِع الخطوات تذكُّراً، ترديداً وبِنظام الاختصار حتى لا تضيع خطوة

ثُمَّ إن استجلاب بعضها البعض متروكٌ لها هي بقدر ترابطها،

بِ. قَ. دْ. رِ... ترابطها.

❋ لا تلم أحداً لا تعرف أسبابه.

واجعل العذرَ دائماً مَصدًّا يُقبِل على شروع النوايا بالمجابهة...

فَرُبَّ مطعونٍ ضاحك الثنايا..

ورُبَّ ناصحٍ كيدهُ كَمُدلهمِّ الليل..

ورُبَّ صامتٍ مجروح بين جنبيه مِرجلٌ يغلي..

وربَّ دليلٍ كاذب ووفاءٍ مُسقىً غدْر

وليلٍ كَنهار ونهارٍ كالليل...

لا تحكُم قبل أن تعلم، وقل ذلك حين تُعييكَ الفُتيا

آنذاك يبلُغ عُذرك السائِل ولا تحمل وِزرَ مُتَّبع

* كالموج..

عتيٌّ، غاضِبٌ، مُتضارِبُ المدِّ

حزينُ الجزر... يمدُّ، يمدُّ، مُتفحصاً الوجوه

ثم يروح... كافَّ الشعور، كسيره،

كَالموج... يقول كثيراً ما يذوب بينه وبينه

ثم يجمع ما بدا ليُعيده بثَّاً وشكوى... وما يلبث أن يعود

يعود...

كَالموج أقصى أقصاه عنان السماء.. لِتبتعد وتضحك

تُعطيه فسحةً.. لكن يعود

أعلاه أدناه، وأدناه أعلاه... يشكو قسوةَ البحرِ في زَجِّه..

وحنانه في احتوائه وحُبَّه في ضَمِّه... وأنينه في حنينِه.

وغدره في لَثمه..

يعود، يعـــود، يعـــــــود

* لا شيء يدفع للتعلُّق بين السماء والأرض أكثر من قناعة، تصمُّ أُذنيك.. تجمعك لتفلتك بينَ سماءٍ وأرض.. وأنت متوقِّع لكلِّ شيء.. أيِّ شيء

لِذلك لا تضجر أو تتذمر..

حتى وأنت تشعر بقسوة الوقت.. يُصمتك ألفُ هاجسٍ بِطبيعة ما يحدُث..

هي الحياةُ لم تأتِ لننعمَ بسعادةٍ ونُقطة وقوف ثُم انتقال،

لا بد لا بد..

قد تُحدِّق مرة بالنافذة، غير مُصدِّق..

مُحاولاً جدًّا تجرُّع هواء الأحداث..(تجرُّع).. تجرُّع، لا أدري أهي مُناسبة هُنا أم لا؟

المُهمُّ في مُتابعة النافذة وألم.. ألم آخر وقعه خاصٌّ.. يُميِّزه أنك في كلِّ حالاتك سيئ ولا يدَ لك في ذلك..

عموماً، أنا ممَّن يؤمنون جدًّا بِأن الأشياء تستطيع إثبات نفسها دون حديث أو تبرير أو إقناع لذلك أُتقن الإشاحة

والحديث بأيِّ حديث.. عدا المُفترَض.

وأعلم فداحةَ ذلك في عدم قطع دابر الأخطاء.... فَتتكرر.
وتتلقَّف عيني النافذة لأتنهَّد... وربَّما أغفو.

❋ المزاج ليسَ شيئاً تَرَفِيَّ النكهة

بلْ أُمةً وحدَهُ، وقد ينزع الله به ما لا ينزعهُ بالرغبات أجمَعْ.

ألا يجعلك أحياناً تعمل عملَ شهرٍ كاملِ في ليلة؟

ليسَت عيباً (المزاجية) لكنها تحتاج لخليطٍ معها

لِتكون صحِّيةَ الانتياب...

حينَ تُعلِّل جرحك للآخرين بمزاجيتك

فهذه مزاجية سلبية، وحينَ تمدح أو تُعين

أو تُناضِل من أجل الآخرين فهذا

الجانب الإيجابيُّ منها.

* بعُدُ القُرب... وقُربُ البُعدْ

يُحكى أنَّه...

يتَّهِمكَ

الليل بالظُلمة،

وتمسَح جبهتها

الشمس تَعرُّقاً من حرِّك..

وتدمع عينا القمر من بثِّكْ..

وتصرُخ بهبوبك الريح استنجاداً،

وحفيفُ الأشجارِ ينوح.... بأنتَ القسوة

وبُنيَّاتُ طريق الصدق يبكينَ فِراراً من بطشك..!

وذهولٌ أنت.. إن كُنتَ لنعتِ الأشياء بأهليَّتِهـــا تتسمَّى..

قُربكَ خُطوة إشراع أبرأ من قَطرَة،

بُعدُكَ خَطْرٌ لحديثٍ بخيوطٍ تتدلى...

ودُخانٌ من أبناءِ النار، بارٌّ بـارٌّ.. لكن ينسى!

وسفينةُ قَيدك تتحدَّث أنْ آنَ أوانُ الإبحار.

قُربٌ بُعدْ..

أوراقٌ تتساقط وخريفُ الإلْفِ لها رمْسٌ

ذِكرى الإلْفْ تَكفي أُنساً إن ثَمَّ سؤالٌ عن أُنْسٍ أو عَلَّ.

* ويُضحككَ السترُ حين يُغريكَ باستمرار.. فَتستهينُ به وهو يستدرجك.

وتعظُم في عينك اللحظاتُ حين تتذكر ملمسَها الناعم فَتغويكْ.

ويُشكِل عليك الحاضِر..

فتتساءَل من أيِّ مأمنٍ سأُؤتَى؟!

ولا جوابَ إلاَّ االتربُّص

ولا يُريحها ولا يُريحْ..

يُهيلُ تُربَ الظنون..

فتُسَدُّ أنه عتبةَ باب التباريح.

ويلٌ لهم مما يظنون..

وكأنَّ الغيب مكفولٌ... أو يُشيح!

أو يُشيحْ؟

أو يُشيـــحْ؟!

* مُمسكة بزمامِ الدهشةِ وهي تظنُّ أن جفْني العلويَّ مُثقلٌ لها بامتنان وأن أهدابي حينَ لا ترتفع شوقاً للسماوات.. بسبب خجلٍ منها الدهشة رفيقةٌ لئيمة.. لكنها... لكنها على أيِّ حال رفيقة..

تظِنُّ عليَّ لأنها تظُن أنِّي وهي مُخطئة وأنا مُشكلتي لا أُحب التبرير

فأصمتْ.

أيضاً هي رفيقة وأيضاً على كُلِّ حال احتمالها لا يُسبب لي أزمة..

وهي تهونُ جدًّا

أمام الرعب الذي يُسببه التفكير، مجرد التفكير بطول ومدى حياة الناس

خلف الأقنعة

وإن طمأَنَ ذلك فَمن أجل التبيُّن فقط لئلاَّ تُصيب قوماً بجهالة... فَتندَمْ.

* وتطوي في أضلُعِك جرحاً قديماً، لا ينفكُّ يلتصق بك
ولا تستطيع له دفعاً، تطويه بِحنانِ أُمٍّ ويلثمك
بِفقْدِ طفل وُهِبَ لهُ فجأةً قلبٌ شاسِعٌ وكانَ في بيداءٍ من جَزَعْ..
أو كَقِطة جَنى عليها المَطر فَخالتْ قطعةَ قُرطاس دِفءَ العالم أجمع..
هو أَلَمٌ، يخزُّ، يبطش ويختبر فيكَ قُواه.. يلتَقِطُ النوم من عينيك يُحلِّق به..

كَفِرارك من مجذوم.. قيلَ لك إنَّ العدوى منه أكيدة.. ولا مَنفَذ،
كَهروبِ جريح من أرضِ معركةٍ خَسِرَ فيها ولا مُنقِذْ..
تتبعهُ أحداقك.. ولا تعود إلاَّ بحاليْن:
أحدهما أُنسيتُه..
والثاني..
نَسيَني فانتشلني كبريائي منه عنوة..
وما عصيته!

* الصيف يُخفي عن الشتاء حقيقةَ أنهُ حينَ يُغادر؛ لا يُغادر لكنه يتخفَّى داخلنا
ونحنُ نمسح على جِباهِ قلبٍ قائظٍ... أن ياالله ما أقسى الوقت!

بينما الشتاء لا يُعلِّق.. بل وأيضاً يُخبئ بين دفتيْ ما يشعر حقائقَ أُخرى منها أنه قد تتصلب أطرافك برداً مجنوناً في قمة شـعور الحَرِّ.. وقد يطويك

كيدُ نهارٍ من هَجير ببساطِ برودة مجذوذة التأقلُم من دُبُر

* في صَدري ريحٌ باردة..
لو زفرتُها.. لَتجمَّدَ الكون!
وفي خاطري دمعةٌ جامِدة..
لو أذِنتُ لها.. لأغرقتُه!
وفي ضميري عِبارة.. لو قُلتُها
لتهاوت جسورُ العالم...
ياااه.. كَم هو قتَّالٌ شعوري
وخافقي سَيَتجمَّد!

* كانت دَهشة..

والآن أيُّ شيء إلاَّ.. الدهشة!

قالَ التاريخ: إنَّ أغبى سؤال وُجِّهَ إليه كان:

كَم يَبلُغ الألم من وَجَعْ؟

وحين سألته: ماذا كانَ جوابه؟

ضَحِكَ مني كثيراً وقال:

أيروقُ لك؟

صمتُّ تَفكيراً.. فَعقَّب:

أو يَختلفان؟

رُبَّما.. قُلت. وأيضاً صمت!

ليسَ تَفكيراً بماهية الفَرق.. بلْ ذِكرى

ليسَ من رأى كَمن سَمِع يا سيدي التاريخ.

والألم إن زاد فَلنْ يعدوَ قَدرَه.. بينما الوَجعْ حين يَصِمُ وَصْمتَهُ على الروحِ

فَلن تَبرَح منه تتألم..

ولا تَشكيه!

* قالت:

عبِّري عنك في ثلاثة أسطر.. ولا تزيدي.

قُلت:

ولِمَ ثلاثة.. يكفيني كلمة وسأُجيبك بلا إمهال:

أنا احتدامٌ.. الآن فقط.

قالت:

عبِّري عن شعورك الآن بكلمة واحدة.. فقط

قلت:

ولِمَ واحدة في الحديثِ تنفُّس، مشاعري كَقاربٍ حين توسَّط البحر واعتلاهُ الموج، تذكَّر أن المجاديف على الشاطئ.. وليسَ ثمةَ عودة، وحينَ أخبرهُ البحرُ أن لا يُوجِل فلا خطرَ مُحدِقاً حاليًّا والمدُّ هادئٌ.. أقلقه ذلك أيضاً.. فأينَ سيجعلِ الجزْرُ المجاديفَ!

وقالت:

عبِّري عنهم.

قُلت:

لا أُريد، والله يفعل ما يُريد

إضافة شرح

قالت:

عبِّري عنك في ثلاثة أسطر.. ولا تزيدي.

قُلت:

ولِمَ ثلاثة.. يكفيني كلمة وسأُجيبك بلا إمهال:

أنا احتدام.. الآن فقط.

قالت:

عبِّري عن شعورك الآن بكلمة واحدة.. فقط

قلت:

ولِمَ واحدة في الحديثِ تنفُّس، مشاعري كَقارب حين توَّسط البحر واعتلاهُ الموج، تذكَّر أن المجاديف على الشاطئ.. وليسَ ثمةَ عودة، وحينَ أخبرهُ البحر أن لا يوجل فلا خطرَ مُحدِق حاليًّا والمدُّ هادئ.. أقلقه ذلك أيضاً.. فأينَ سيجعل الجزْرُ المجاديف..!

وقالت: عبِّري عنهم.

قُلت:

لا أُريد، والله يفعل ما يُريد.

* حكاية قلب

وما لإرادتي وجهٌ إذا ما... أرادَ اللهُ لي ما لا أُريدُ.

تُطبقْ كِتاباً بينَ يديك، وتُنهي سيلَ الأفكار بـِ (قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلْ)، تُريحُ كَلَلَ قَلبِك بِـ...

(ما شـاء الله كان وما لمْ يشـأ لمْ يكُن، أعلَمُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شـيءٍ قَدير).

يجْرِفكَ شوقٌ للبعيد، يأخُذْكَ دربٌ لا ينتهي

تُلهيكَ ذِكرى تتجلَّى، يُغريكَ طوقٌ يطفو..

تَبَّتْ يدُ الشوقِ الناطقُ.. الأبكَمْ

الأعمى المُبصِر

السامِع الأصمِّ.

جفول قلبي كَقِطة عزيز

يُحجِمْ حالَ فِكرةِ سوداء مُكلَّلٌ نهارها بالإحباط

ويُقدِّم حينَ فِكرة هوجاء مجنونة تمرَّدَت من الجاذبية

ومن كُلِّ قوانين النِسَبْ، وحالَ خلوصٍ مِن ذاكَ وذاك

يجلِس قلبي في المقطورَة الأخيرة، يَعبَث بِبتِلاَّتِ وردةٍ من بَنَفسَج

ويُرَدِّد: خطأ، صواب، خطأ، صواب

وكَكُل قِصص الحياة الجارية رَغماً، بِمشيئتنا، أو بدون، يَحلُّ الغروب

وتنتهي الحكاية.

وكم أهوى الليل.. وأذمُّه!

تم بحمد الله